ومفيد باقواله لك وتقبل شكرنا والتحية

﴿ ترقي السوري في دار هجرته ؟ ﴾

(ترقيه في المدنية)

(لحضرة شبل افندي ناصيف دموس)
صاحب الاصلاح المنتجب

(المقالة الثالثة)

ابنت في المقالة التي سبقت تحت هذا العنوان كيف ترقى السوري في المعرفة واذ تقرر ذلك اصبح بالطبع مترقياً في المدنية لان هذا الترقي نتيجة العلم ولا بد من ذكر بعض هذه الترقيات تثبيتاً لكلامنا فنقول

ان السوري ترك بلاداً لا تعرف عن المدنية الا ما توارثه الخلف عن السلف وهذا كان قليلاً جداً وفي بعض الاحيان كانت عوائد لا تعرف كيف كانت نشأتها ولا عن اي مصدر تجت فمدنيتنا مقتصرة على سكن في بيوت من لبن او حجر تتميز بها عن سكان بيوت الشعر في البادية وكان لباسنا السراويل تتدلى اطرافها فتمس الارض بعض الاحيان ولنا الاجتماعات المقتصرة على الاحاديث المملوءة من خرافات لاقدمين واغلبها في القهاوي في ايام الصيف وفي بيوت الجيران او في بيوتنا في الشتاء ما بين قصة عنتر او الزير او علي الزيبق او حديث وقعة جرت جردت فيها العصي وحمي وطيس رشق الحجارة او الرمي بالرصاص الى آخر ما هنالك من مثل هذه الامور وكانت افكارنا لا تستطيع فهم غير ما حولنا ولا سبيل لها للاستنباط فيما يسهل اسباب المعاش ويطيل الحياة على قصرها ليس بكثرة السنين فان هذا مستحيل ولكن بكثرة المعرفة وروية اشياء هذا الكون على تعدادها بحيث يتسنى لنا في سني الحياة القليلة ان نرى من هذا الكون ونتمتع بخبراته ما لا نستطيع الوصول اليه في مئات من السنين لو بقينا في حالتنا الاصلية وان كان هذا من سوء ادارة حكومتنا غير انه ليس من غرضنا البحث عن سببه بل المقصود اثباته فانه كان الواقع فعلياً

فلما قدمنا امريكا ولد فينا روح حب الاطلاع على كل شيء فزادت رغبتنا في الاصفار لروية كل شيء اقرب شيء بالسماء كما صورها لنا الدين منذ اجيال طويلة

﴿ علة السوري — سبب تأخره — علاجه ﴾

— لحضرة الشيخ يوسف عواد —

عثرت في مطالعتي جريدة الهدى الغراء على سؤال لاحد ادبائنا الخواجا حبيب بشركيان عن سبب تأخر السوري المهاجر بالنسبة الى المهاجرين الاخرين من الممالك الاجنبية .

فاحببت بان ابين الاسباب لا طمعاً بالجائزة ولا حباً بالشهرة بل توصلاً للحقيقة اذ اني بعد البحث والتنقيب وجدت ان تأخره ناتج عن سبعة موانع رئيسية وهي .

(اولاً) عدم الاختلاط بالامريكيين بكل معنى الكلمة . والايضاح ان السوري الذي مضى على زمن هجرته نيف وعشرون عاماً كان ولا يزال مستقلاً بذاته يطمع بنيل الاماني وهو بعيد عن الشعب الذي قضى عليه بان يوجد بينه جاعلاً نصب عينيه ان سبب حلوله هذه الديار لا لاكتساب عادات القوم ومشاربهم واطباعهم بل لجمع الاموال والرجوع الى بلاده وقانه انه بتجنبه عادات الاميركيين اصبح محتقراً عندهم واصبحوا ينظرون اليه بازدراء محتقرين سلوكه العجيب وعاداته الذميمة بعكس الارلنديين والجرمنيين والبولنديين الخ الذين إبان وجودهم بينهم اخذوا يسعون سعيا متواصلاً للاختلاط بهم والجري على عاداتهم والسكنى بينهم حتى نالوا مبتغاهم بتقرب الاميركيين منهم .

٢ً جهل العلوم ! نرى ان السواد الاعظم من السوريين المهاجرين لا يعرفون من العلم شيئاً فكيف يتم لهم والحالة هذه الارتقاء بين قوم ولدوا وشبوا وشاخوا بين الاقلام والمحابر ولا اخال احدا ينكر عليّ هذا المبدأ ان تفكر به مليا وطرح التعصب جانبا وذلك ان كثيرين من تجارنا وباعتنا افلسوا افلاساً لجهلهم العلوم واستخدامهم قوما لا يعرفون من المروءة الا اسمها فابتلعوا اموالهم وملأوا بطونهم وتركوهم حيارى لا يدرون ما يفعلون

يا قوم كم بيتنا من الذين يودون لو قدروا على

اشتراك العلوم لفعلوا ذلك بطيبة خاطر : كم بيننا من الذين جمعوا اموالاً طائلة وفتحوا تجارة كبيرة (وهم يجهلون العلوم) فاضاعوا اتعابهم بتسليم زيد وشحن بضاعة لعمرو (بالدين) واصبحوا يئنون و يشتكون و يندبون سوء منقلبهم بيد انهم كانوا في بادىء امرهم احسن كثيراً من التجار اصحاب العلوم فذهب اولئك و بقي هولاء و بكل يوم نرى من تقدمهم العجائب

(٣) (لاهتمام بشغل واحد)

بينما نرى الامم المهاجرة تسابق الشعب الاميركي بالصناعة والزراعة والتجارة الخ نرى السوري جامداً ومجتهداً بين السلع على ظهره وكتفه ولا يهمه من امر تقدمه شيء كانه خلق لبيع الكشة وغيره من المهاجرين لكل امر خطير وان فتح تجارة تجدها بالنسبة الى تجارات الغير حقيرة و تكاد لا تذكر (ولماذا) لعدم وجود جامعة تجمع تجارتهم .

(٤) التعصب او عدم المحبة)

لا يهم الجرمني والايطالي ان هذا من برلين وذاك من رومية بل يهمهم امر واحد وهو انهم ابناء وطن يلزمهم معاضدة بعضهم وموازرتهم في السراء والضراء بعكس السوري الذي تراه مدعياً بعلمه متكبراً باصله مفتخراً ببلدته بانهما ارفع مقاما من قرية اخيه في الوطنية وان سئل مساعدته رفضها بقوله ماذا يهمني منه وانا من ... وهو من ..

هذا من جهة ومن جهة اخرى التعصب الديني الذميم الذي ولد مع السوري من ان فلانا ماروني والآخر ارثوذكسي وغيره كاثوليكي ونرى حديث الطوائف هو الشغل الشاغل السوريين ثباته بالاشغال والكسل والخمول وحب الراحة والكبرياء فانك قلما تجد رجلا تعب بشغله زمنا طويلا بل تراه متقلبا باشغاله كريشة في مهب الريح ناهيك عن ادعائه وشقشقة لسانه بالتحامل والتطاول على الغير يجد نقائصه صغيرة وزلة غيره كبيرة

يسر بالوشاية ويكره الثقاة يحمد ذاته ويحتقر غيره : يبدل الصدق بالكذب والمديح بالذم ولا يحمل كلامي هذا عموميا و يعتبره طعنا على كافة السوريين بل فليتأكد ان الضرورة احكاما والضرورة هنا ايضاح تأخر السوري فليعذر المنتقد البصير

(٧) واخيراً) (التقاليد) حبذا لو نبذ السوري عاداته وتقاليده القديمة كالصراخ في الافراح والعويل في الاتراح والاسراف في الولائم والجمجمة بالمجتمعات واتبع عادات الاميركيين الى ما لا حاجه بي لذكره الان وكفى بهذا القدر بيانا لانحطاط السوريين

﴿ الدواء ﴾

وصفت الداء وصفا قصيراً ومختصرا فلزمني اعطاء دواء نافع لاستئصال هذا المرض وهذا الدواء جمعته في كلمات قليلة الشرح كبيرة المعنى للمفتكر ! انشاء المدارس . المدارس . المدارس . قتل التعصب . المسابقة الصناعة والزراعه والتجارة . الشبات بالاعمال . قتل التعصب . التساهل . الصدق . بكل معنى الكلمة وقوتها . درس عوائد البلاد . اهلاك الكشة . مناصرة بعضنا بعضا . التقرب من سكان البلاد . المحبة المجردة عن الغاية . الوقوف وقفة واحدة بوجه من يروم الحاق الضرر بنا . تألف الجمعيات . انشاء غرفة تجارية يكون

اعلل نفسي ياأماه بهذا الرجاء المسيحي تلطيفا للوعة الفراق وتخفيفا لحرقة الاكباد التي لم تقو على تطفئتها المنسجمة ! ودموع اخواني واسيادي جورج وجني المنهطلة كيف كان بكاء سيدي الاخ هيكل عند وصوله خبر فراقك من هذه الدنيا الفانية .

ابكيك ياأماه واستبكي الحمام وحزني عليك لا تزيله الايام وحسرتك طي الفؤاد الى يوم المعاد . كيف لا ابكيك واستعظم خسارتك وانت اصل وجودي في هذا الكون وقد اعطيتني مثلاً في حياتك يقيني اذا تدبرته من غوائل التهور في محبة الذات العائدة على متبعيها بالاحتقار وتوالي الآفات.

احببتك ياأماه بما وصلت اليه مقدرتي ولو قبل الفداء لفديتك بنفسي . كنت اطمع بمصاحبتك في جميع ادوار حياتي لتكوني كما كنت لي مديرة ومرشدة ومقاسمة لافراحي وتراحي وعاملة على تقدمي ونجاحي احببتك حبا بنفسي وهذا ما ادعوه تهورا وحبا ذاتيا فماذا نفعني حذري وشدة محافظتي على حياتك ؟ هل أخر في أجلك يوما ؟ وهل رد عنك قضاء الله في خلقه ؟ هل لم يكن تعاقي بك سببا لشدة حزني وعظم كدري ! وماذا يفيدك كل هذا ؟ هل يعيدك الي ثانية لاستزيد منه ؟ هل يتسبب لراحتك الابدية لاستعين باهلي وعزوتي واصحابي واستغيث باهل الارض . كلا لا يفيد شيئا وامله يعود علي بالضرر من انحلال عقلي وانزال جسمي ووقوف اشغالي وصيرورتي الى العدم وحسباني صفرا في الهيئة الاجتماعية مع انك رحمك الله هيأتني لاكون عضوا عاملاً فباستسلامي الى عوامل الطبيعة احتقر هبة الله

Rafik Hoda 1904

بلدته بانهنها ارفع مقاما من قرية اخيه في الوطنية وان مثل مساعدته رفضها بقوله ماذا يعني منه وانا من ... وهو من ...

هذا من جهة ومن جهة اخرى التعصب الديني الذميم الذي ولد مع السوري من ان فلانا ماروني والآخر ارثوذكسي وغيره كاثوليكي ونرى حديث الطوائف هو الشغل الشاغل للسوريين وهذا لعمري من آفات تأخرنا وانحطاطنا ولقد طالما سود كتابنا جرائدهم بالنهي عنه والى الآن كانهم يضربون على حديد بارد او كأنهم يكتبون على صفحات الماء

(٥) قلة ثقتهم ببعضهم)

ان اتى سوري لسوريا آخر بنصيحة جعل هذا لها بفكره أهمية كبرى بقوله ماذا يقصد هذا من نصيحتي وبعد التيا والتي يتحقق عنده ان ذلك اما لمنفعة شخصية واما لغاية له بها ما رب ومقاصد فيتميز غيظا وغضبا ويضمر له السوء . وان القيت مقاليد امور ذات اهمية على عاتق احد منا كالوكالة والرئاسة والتحرير وعرض مساطر وشحن بضائع و و و و الخ يصبح اسمه مضغة في افواه المنشدقين الذين يشكون في عدم صلاحيته واختلاسه نصف اتعاب موكليه وان سئمت نفسه الخدمة بدون كل تهمة شنعاء بقولهم وجد ضالته المنشودة بتحصيل ما طمحت اليه نفسه من اموال الغير (فلماذا يخدمهم وقد اصبح اغنى منهم) : عدم تأمين بعضهم بعرض دراهم او مشاركة او مصاحبة الى ما لا نهاية له

(٦) عدم الثبات بالاشغال)

من اكبر اسباب تاخر السوري عدم الثبات بالاعمال . قتل التعصب . التساهل . الصدق . بكل معنى الكلمة وقوتها . درس عوائد البلاد . اهلاك النشة . مناصرة بعضنا بعضا . التقرب من سكان البلاد . الحمية المجردة عن الغاية . الوقوف وقفة واحدة بوجه من يروم الحاق الضرر بنا . تأليف الجمعيات . انشاء غرفة تجارية يكون مدراؤها اصحاب علوم وذكاء على غير ادعاء بالتواضع والغيرة دون اعطاء كل ذي حق حقه .

هذا ما توخيت شرحه اظهرته على صفحات لهدى الزاهر الذي يبذل صاحبه ما عز وهان في سبيل تقدم السوري ونجاحه ووقف ذاته للخير العام

تأبين ولد لوالدته

لفظه حنا افندي العلم في الجناز الاربعيني لوفاة المرحومة والدته وذلك في ١٨ ايلول سنة ١٩٠٤

اربعون يوما مضت على فراقك يا أماه . اربعون يوما ما كان امرها واشقاها على ولدك . اربعون يوما تساورني الاشجان ويتنازعني عاملان القنوط والرجاء القنوط من ملقاك واليأس من رؤياك والقضاء المبرم على فراقنا الى الابد ... ياله من حكم صارم قضى على حياتي بالشقاء! اما الرجاء فلان الطبيعة تعدني بالانحلال ومعاملتي واياك بالمثل وعسانا نلتقي بالمرحومين السعيدي الذكر سيدي الوالد واخواني عبدالله ومخائيل وغالبه في تلك الاطلال ونتنعم في الملك السرمدي بنعيم ليس له زوال !

هل يعيدك الي ناديه لا شديد منه ؟ هل يتسبب لراحتك الابدية لاستعين باهلي وعزوتي واصحابي واستغيث باهل الارض . كلا لا يفيد شيئا واعله يعود علي بالضرر من انحلال عقلي وانزال حسبي ووقوف اشغالي وسيرورتي الى العدم وحسباني صفرا في الهيئة الاجتماعية مع انك رحمك الله هيأتني لاكون عضوا عاملا فباستسلامي الى عوامل الطبيعة احتقر هبة الله الشريفة التي نوعى بها عن كافة مخلوقاته غير الناطقة واخالف مشيئتك واوامرك باستسارتي بموجب ارشاد العقل واعمل على ما يعود علي بالنفع وعليك بحسن الذكر ولا يبقي التاريخ ذكرا حسنا الا لمن فضل النفع العام واهتم لخير وطنه فانا عملا بارشاد هذا العقل الذي اعتنيت بصقله وتهذيبه بمثلك الصالح ونصائحك المفيدة حسن لي النطق بما نطقت على غير الطريقة المتعارفة بالتأبين التي قلما تتجاوز عباراتها الرثاء من تصوير عواطف الحب والاسف وتعداد الفضائل ممزوجة بتصاعد الزفرات وهمر العبرات فانا قد اقتصرت على جعل حبي واعتباري لك وتأسفي على فراقك موعظة وجيزة مفيدة لمن تدبرها من اخواني المتصل الى شريف مسامعهم صوتي الضعيف وانا واثق بان روحك الطاهرة تتهلل سرورا من تخلو سمائها وتباركني وتشفع بي لدى العلي سبحانه ليقويني على احتمال وقر الخطوب ونوائب الزمان ويعزيني على فراقك بسلامة الاخوان وذكر صفاتك الحسان والترحم عليك في كل آن

وانتم ايها الافاضل الكرام لكم اهدي الشكر على ما ابديتموه